

(تذكر أن) مختارات العقيدة الطحاوية الدرس الخامس

➤ مُعْتَقِد أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ بِكِتَابِهِ، وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ الصَّحِيحَةِ بِلا تحريفٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ، وَيُزَيِّهُونَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَمَّا نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا نَزَّهَهُ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➤ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَوْعَيْنِ:

❖ **النوع الأول:** الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِنَفْسِهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.

❖ **النوع الثاني:** الصِّفَاتِ الْمُنْفِيَّةِ الَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ نَفْسِهِ، كَنَفْيِ "السِّنَّةِ" وَنَفْيِ "النُّومِ" مَعَ إِثْبَاتِ ضِدِّهَا مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ.

➤ **وَالصِّفَاتِ التُّبُوتِيَّةِ نَوْعَانِ:**

❖ **صفات ذاتية ملازمة لله -تبارك وتعالى- لا تنفك عنه بأي حال من الأحوال.**

❖ **أما الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ -أَوْ الصِّفَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ- فَهِيَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْمَشِيئَةِ،** فَيَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، وَيَجِيءُ مَتَى شَاءَ، وَيَنْزِلُ مَتَى شَاءَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ سُبْحَانَهُ.

➤ **الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ -أَوْ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالصِّفَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ- مِنْ حَيْثُ النَّوعِ ذَاتِيَّةٌ: أَيْ: لَا تَنْفَكُ عَنِ الْخَالِقِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا فِي الْأَزَلِّ وَالْأَبَدِ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْآحَادِ فَهِيَ فَعْلِيٌّ**

➤ **(مَا زَالَ) وَ (لَا يَزَالُ) مَعْنِيَانِ مُتَقَابِلَانِ، (مَا زَالَ) أَيْ: يَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ فِي الْمَاضِي، وَ (لَا يَزَالُ) يَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.**

➤ **وَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، سَوَاءً صِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ أَوْ صِفَاتٍ فَعْلِيَّةٍ، فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا فِي الْأَزَلِّ وَالْأَبَدِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فَاقِدًا لَصِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا قَبْلَ خَلْقِهِ لِيَخْلُقَهُ وَبَعْدَ خَلْقِهِ لِلْخَلْقِ.**

➤ **وَلِهَذَا لَا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَدْ اتَّصَفَ بِصِفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا. لِمَاذَا؟**

لأنَّه له الكمال المطلق، وإذا قلت: إِنَّه اتَّصَفَ بِالصِّفَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى النِّقْصِ، وَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُنَزَّهٌ عَنِ النِّقْصِ -جَلْ جَلَالُهُ- فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

➤ **وَالَّذِي دَعَا الْمُعْطَلَةَ إِلَى نَفْيِ هَذِهِ الصِّفَاتِ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ فِي الْأَزَلِّ يَقْتَضِي تَعَدُّدَ الْأَرْبَابِ، وَهَذَا غَيْرُ وَارِدٍ. لِمَاذَا؟**

لأن الصِّفَاتِ غَيْرِ مُنْفَكَةٍ وَغَيْرِ مُنْفَصِلَةٍ عَنِ الذَّاتِ، وَالَّذِي أَوْقَعَهُمْ فِي هَذَا الْإِنْكَارِ هُوَ تَوَهُّمُهُمْ أَنَّ الصِّفَاتِ مُنْفَكَةٌ عَنِ الذَّاتِ، وَلِهَذَا قَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ الصِّفَاتِ مَخْلُوقَةٌ وَإِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ -تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ- لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الصِّفَةَ مُنْفَكَةٌ عَنِ الذَّاتِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ صِفَاتِهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مُتَعَلِّقَةٌ بِذَاتِهِ، فَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ فِي الْأَزَلِّ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَعَدُّدُ الْأَرْبَابِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ مُنْفَكَةً عَنِ الذَّاتِ.

➤ كيف تفرق بين كون المضاف لله من صفاته، وبين كون المضاف إلى الله من مخلوقاته؟

إذا كان المضاف إلى الله أمراً قائماً بنفسه كـ "ناقة الله" و "بيت الله"، فتكون الإضافة هنا إضافة تشریف، من باب إضافة مخلوق إلى خالقه؛ لأنَّ المضاف هنا عين مستقلة، وأمَّا إذا كان المضاف إلى الله ليست عيناً مستقلة، كما تقول: "كلام الله". فحينئذ تكون الإضافة هنا من باب إضافة الصِّفة إلى الموصوف.

➤ القِدم نوعان: قِدم نسبي، وقِدم مُطلق.

❖ **القدم النسبي:** هو الغالب في استعمالات النَّاس، فيقولون: هذا الشيء قديم. أي: بالنسبة لما بعده.

❖ **القدم المطلق:** هو الذي بمعنى "الأوَّل" أي: الذي ليس قبله شيء.

➤ القول في الصِّفات كالقول في الدَّات، فكما نُثبت أنَّ لله -عَزَّوَجَلَّ- ذاتاً تليق بجلاله، كذلك نُثبت أنَّ لله -عَزَّوَجَلَّ- صفاتاً تليق بجلاله.

➤ فَمِنْ أَسْمَاءِ "الخالق" ومن صفاته "الخلق" وصفة الخلق: هي الإيجاد والتدبير والتقدير.

➤ ومن أَسْمَاءِ البارئ، والبارئ: هو الذي يُحدث الشيء من العدم.

➤ قيل في الفرق بين الخالق والبارئ:

❖ الخالق: الذي خَلَقَ كُلَّ شيء وأوجده ودَبَّرَ شؤونه.

❖ والبارئ: الذي جعل لكل مخلوق صورة يَتميز بها.

➤ من خصائص الربوبية: "الخلق والتدبير والإيجاد"، فصفة الخلق مُتَّصِف بها قبل إيجاد المخلوقات. والربوبية تشمل الخلق وتشمل تربية عباده، فهو المربي لهم، وهو حافظهم ومدبر أمورهم.

➤ باب الإخبار أوسع من باب الصِّفات، وباب الصِّفات أوسع من باب الأسماء، والأسماء توقيفية.

➤ وأهل السُّنَّة والجماعة كما يستدلون بالأدلة النقلية، يستدلون كذلك بالأدلة العقلية، بل الدليل العقلي الصحيح الصريح لا يُخالف الدليل النقل الصحيح.

➤ النقل مُقدم على العقل، لماذا؟

لأن النقل صادر عن الوحي، أمَّا الأدلة العقلية فَيَعْتَرِها مَا يَعْتَرِها مِنَ النقص، ويعتريها مَا يَعْتَرِها مِنَ الوهم، ويعتريها مَا يَعْتَرِها مِنَ المُكَابِرَةِ أحياناً، ولهذا كان النقل هو الأصل وهو المقدم، والعقل هو التابع له.

➤ هل يصح أن يُقال: إِنَّ الله على مَا يَشَاء قدير؟ أو يقال: إِنَّ الله على كل شيء قدير؟ هل قدرته متعلقة بما يَشَاء؟ أو هو قدير على ما يَشَاء وما لا يَشَاء؟

الجواب: إِنَّ الله على كُلِّ شيء قدير.

➤ إِنَّ الله يَعْلَم كُلَّ شيء أَزْلاً وأَبْداً، جملةً وتفصيلاً، يَعْلَم مَا يَتَعَلَّقُ بِأفعال العباد، يَعْلَم مَا يَشَاء، يَعْلَم مَا كَانَ في الماضي، وما يكون في الحاضر، وما يكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم المستحيل الذي لم يقع لو وقع كيف يَقَع، فلاحظ الكمال المطلق، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿وَلَوْ رَدُّوْا لَعَادُوا﴾ [الأنعام: ٢٨]، فلاحظ الكمال المطلق يعلم المستحيل الذي لم يقع لو وقع كيف يَقَع.

- وهكذا يُقال في قدرته: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، لَا مُكْرِهَ لَهُ.
- الكل مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ -تبارك وتعالى، ولهذا كَانَ مِنْ كَمَالِ الْعِبُودِيَّةِ أَنْ يُظْهِرَ الْعَبْدَ فَقْرَهُ إِلَى اللَّهِ، كَمَا فِي دَعَاءِ الْإِسْتِسْقَاءِ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ" فَيُظْهِرُ الْعَبْدُ افْتِقَارَهُ إِلَى اللَّهِ وَحَاجَتَهُ إِلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، هَذَا مِنْ كَمَالِ عِبُودِيَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ -تبارك وتعالى.
- هَلْ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ تَشْبِيهِهَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ؟ الْإِجَابَةُ: لَا، فَأَهْلُ السَّنَةِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مَعَ اعْتِقَادِهِمْ بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. فَأَهْلُ السَّنَةِ يُثْبِتُونَ النُّزُولَ وَيُثْبِتُونَ الْمَجِيءَ، **فَهَلْ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَشْبِيهِهَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ؟**
- الْإِجَابَةُ: لَا، **لِمَاذَا؟** لِأَنَّ صِفَاتِ الْخَالِقِ تَلِيْقُ بِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَلِهَذَا أَتَى هُنَا بِالِدَلِيلِ تَأْكِيدًا لِمَا سَبَقَ: لِأَنَّ إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَشْبِيهِهَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، صِفَاتِ الرَّبِّ -تبارك وتعالى- تَلِيْقُ بِهِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- اللَّهُ -تبارك وتعالى- أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ وَلِذَا فَيَنْبَغِي عَلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ وَالْمَسْتَمِعِ لَهُ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةَ، وَأَنْ يُكْثِرَ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.
- بَلْ لَاحِظُوا الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْفَرَائِضِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ، كُلُّهَا ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ، سُورَةُ "الْفَاتِحَةِ" أَعْظَمُ سُورَةٍ، وَهِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، كُلُّهَا ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ.
- اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَمِنْ الدُّعَاءِ كَثْرَةُ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ -تبارك وتعالى- بِهَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، خَاصَّةً فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الشُّبُهَاتُ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْمَشَاغِلُ، وَلِهَذَا لَاحِظُوا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَمَّا عَنَوْا بِهَذَا الْبَابِ الْعَظِيمِ كَانَ ذَلِكَ -بِحَمْدِ اللَّهِ- مِنْ أَسْبَابِ ثَبَاتِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ لِكَلَامِ اللَّهِ، وَتَعْظِيمِهِمْ لِكَلَامِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَعْظِيمِهِمْ لِأَوَامِرِ وَنَوَاهِي اللَّهِ -تبارك وتعالى-؛ لِأَنَّهُمْ عَظَّمُوا اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ، وَكَلَّمَا ضَعُفَ هَذَا الْبَابُ كُلَّمَا تَسَاهَلَ وَتَهَاوَنَ النَّاسُ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَهَذَا الْجِيلُ يَحْتَاجُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى تَعْزِيزِ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، مِنْ كَثْرَةِ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ -تبارك وتعالى- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَا أَثْنَى اللَّهُ -تبارك وتعالى- عَلَى نَفْسِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.